



المدرسة والتمدرس في التمثيل الاجتماعي للتلميذ

دراسة ميدانية للسلك الثانوي التأهيلي بالمغرب

حسان حمون

دكتوراه في السوسيولوجيا

المغرب

الملخص

سنحاول في هذه الدراسة الميدانية التعرف على صورة المدرسة المغربية وواقع الممارسة التدريسية، ليس من وجهة نظر المدبرين للشأن التربوي والمهتمين به، بل من خلال المعنيين بشكل مباشر به وهم فئة المتعلمين، لأن إيجاد الحلول للمشكلات والصعوبات التي تواجه المتمدرس داخل أسوار المدرسة وفي قاعات الدرس، تفرض بالضرورة على الباحث التربوي أن يستطلع تصورات هؤلاء المتمدرسين وتمثلاتهم حول هذه المشكلات المدرسية ليتعرف الوضعية الحقيقية للواقع المدرسي من جهة وللممارسة التعليمية من جهة أخرى، وقد أبانت المعاينة الميدانية عن أهم القضايا التربوية التي تعيق المسار الدراسي لتلاميذ السلك الثانوي التأهيلي والتي يمكن حصر مجمل المشكلات في نطاقها، يتعلق الأمر بجاذبية المدرسة والتوجيه المدرسي ولغة التدريس، وعليه فإن البحث في هذه القضايا يمكن أن يساعد في تجاوز الكثير من العقبات أمام اندماج المتعلمين في بيئة مثالية للمدرسة وتحقيق تحصيل دراسي متميز واكتساب المهارات والتعلمات الضرورية في أفق جعل المدرسة المغربية تضطلع بأدوارها التي أنشئت من أجلها.

كلمات مفتاحية: التمثيل الاجتماعي، جاذبية المدرسة، التوجيه المدرسي، التعددية اللغوية.

Abstract

In this field study, we will strive to identify the image of Moroccan schools and the reality of teaching practices, not from the perspective of education officials and those interested in this field, but rather through the lens of those directly involved: the students. Finding solutions to the problems and difficulties encountered by students within the school and in the classroom requires that educational researchers explore their perceptions and representations of these academic challenges in order to understand the reality of the school and the teaching practices implemented. Field observation revealed the main obstacles to academic success for secondary school students, and all these problems are concentrated in the following areas: the attractiveness of the school, academic guidance, and the language of instruction. Therefore, research on these issues can contribute to removing many obstacles to the integration of students into an ideal school environment, to achieving excellent academic results, and to acquiring the necessary skills and knowledge, so that Moroccan schools can fully fulfill their mission.

Keywords: social representation, school attractiveness, educational guidance, multilingualism.



مقدمة

مما لا شك فيه أن معالجة المشكلات والصعوبات التي يواجهها المتعلمون داخل المؤسسات التعليمية تمثل المهمة الأساسية للخبراء والباحثين في المجال التربوي، لأن الهدف الأسمى من العملية التعليمية هو جعل التلميذ (ة) قادرا على الولوج إلى المدرسة واكتساب التعلّيمات والمهارات الضرورية في ظروف ملائمة وجيدة، ويستلزم معالجة المشكلات المدرسية البحث في مسبباتها بالدرجة الأولى، وإيجاد حلول ناجعة لها والحد من تفاقمها، الأمر الذي يستدعي التزول إلى الميدان والوقوف على ما يحدث داخل فضاءات المؤسسات والفصول الدراسية، وتتبع الظواهر السلبية التي تؤثر بشكل سلبي على الاندماج المدرسي وجودة التعلم.

سنحاول في هذه الدراسة الميدانية التعرف على صورة المدرسة المغربية وواقع الممارسة التدريسية، ليس من وجهة نظر المدرسين للشأن التربوي والمهتمين به، بل من خلال المعنيين بشكل مباشر به وهم فئة المتعلمين، لأن إيجاد الحلول للمشكلات والصعوبات التي تواجه المتدريس داخل أسوار المدرسة وفي قاعات الدرس، تفرض بالضرورة على الباحث التربوي أن يستطلع تصورات هؤلاء المتدربين وتمثلاتهم حول هذه المشكلات المدرسية ليتعرف الوضعية الحقيقية للواقع المدرسي من جهة وللممارسة التعليمية من جهة أخرى، وقد أبانت المعاينة الميدانية عن أهم القضايا التربوية التي تعيق المسار الدراسي لتلاميذ السلك الثانوي التأهيلي والتي يمكن حصر مجمل المشكلات في نطاقها، يتعلق الأمر بمجاذبية المدرسة والتوجيه المدرسي ولغة التدريس، وعليه فإن البحث في هذه القضايا يمكن أن يساعد في تجاوز الكثير من العقبات أمام اندماج المتعلمين في بيئة مثالية للمدرسة وتحقيق تحصيل دراسي متميز واكتساب المهارات والتعلّيمات الضرورية في أفق جعل المدرسة المغربية تضطلع بأدوارها التي أنشئت من أجلها.

أولاً: الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة؛

1- مفاهيم الدراسة

أ- مفهوم التمثل الاجتماعي

مفهوم التمثل الاجتماعي من المفاهيم المتداولة حديثاً في حقول معرفية متعددة، وهو يقع على مفترق طرق بين علم النفس وعلم الاجتماع، إنه من المفاهيم المؤسسة التي نشأت وتطورت بعض الحقول العلمية من خلالها كعلم النفس الاجتماعي، بل يمكن القول إن أحد الأسباب التي دفعت سيرج موسكوفيتشي إلى إحياء استخدام هذا المفهوم هو رد الفعل على قصور مفاهيم علم النفس الاجتماعي، ومحدودية موضوعاته ونماذجها.

وتشكل العلوم التربوية الإطار الذي تعزز فيها النقاش حول هذا المفهوم نظراً لمركزيته وأهميته في البحوث التربوية، خاصة تلك التي تعنى بالحالات النفسية والاجتماعية للمتعلم والوضعيات التربوية المرتبطة بها وتفاعلاتها مع عمليات التحصيل الدراسي والاندماج في بيئة الفصل والمدرسة.

سنركز في هذه الدراسة على المنطلقات النظرية للمفهوم كما تجلت لدى الباحثين والمفكرين المهتمين بدراسة أثر ما يحمله الفرد من تصورات وتمثلات قبلية تؤثر على درجة استيعاب واستبطان قيم ومثل المجتمع والاندماج في بنياته الرمزية والثقافية؛ فضلاً عن القدرة على امتلاك معارف ومهارات تمكنه من الفهم السليم للمحيط الذي يعيش فيه والتعامل مع تحولاته وتعتيقاته بسلاسة وإيجابية.

ومن أجل استيفاء دلالات المفهوم سنعتمد ثلاث مقاربات مختلفة تشكل كل واحدة منها مدخلاً نظرياً يتناول المعنى المفاهيمي للتمثل من زوايته المعرفية الخاصة؛ نقصد هنا الحقول المعرفية التي تبنت مفهوم التمثل الاجتماعي كمفهوم أساسي في الدراسة والتحليل، وهي السوسولوجيا مع إميل دوركايم والسيكولوجيا مع جون بياجى والسيكوسوسولوجيا مع سيرج موسكوفيتشي.



يعتبر إميل دوركايم من العلماء الأوائل الذين قاموا بصياغة بنية تصورية لمفهوم التمثيل، فالتمثيلات في نظره هي "الأساطير والحكايات الشعبية والمفاهيم الدينية بجميع أنواعها والمفاهيم الأخلاقية وما إلى ذلك، التي تعبر عن واقع آخر غير الواقع الفردي"¹، وهنا سنتجلى العلاقة التبادلية المتعددة الأوجه بين الفرد والجماعة، هذه الأخيرة التي تقوم بمهمة صهر الأفراد داخل منظومتها المؤسساتية عبر آلية التمثيل، وهي الية تجعل الفرد يستبطن القيم والمبادئ والمثل العليا للمجتمع باعتبارها تصورات وأشكال عقلية مترسخة ودائمة تعزز من المجتمعي على حساب الفردي، وتتجه نحو نحو الاستقلالية الفردية وتثبيت التبعية الاجتماعية ضمن مجتمع ضاغط ومهيمن، "إذا كان الأمر مشتركاً بين الجميع، فذلك لأنه نتاج المجتمع، ولأنه لا يحمل بصمة أي ذكاء خاص فذلك لأنه نتاج ذكاء واحد تلتقي فيه جميع الذكاءات الأخرى، وتتغذى على بعضها البعض بطريقة ما، وإذا كان أكثر استقراراً من الأحاسيس أو الصور فذلك لأن التمثيلات الجماعية أكثر استقراراً من التمثيلات الفردية، فبينما يكون الفرد حساساً حتى للتغيرات الطفيفة التي تحدث في بيئته الداخلية أو الخارجية، فإن الأحداث ذات الخطورة الكافية فقط هي التي تنجح في التأثير على البنية الذهنية للمجتمع"²، فديناميات التمثيل والوظائف الاجتماعية المرتبطة بها تتشكل من خلال أنظمة فكرية أوسع: أيديولوجية وثقافية وحتى عاطفية.

يميز دوركايم بين التمثيلات الجماعية والتمثيلات الفردية باستخدام معيار الثبات والتغير، ثبات الأولى وتغيرها وإعادة إنتاجها، وتبدل الثانية وتحولها وبعبارة أخرى زوالها، يكرر هذه الفكرة باستمرار بأشكال متنوعة، لكنها دائماً واضحة بنفس القدر، "إن التمثيلات هي حالات ذهنية مقابل الحالات الفردية، ورغم أنها منتشرة بين جميع الأفراد فهي ليست ملكاً لشخص ولا تتحقق كلياً ولا تتجسد عنده فردياً"³.

مقابل هذا التصور السوسولوجي الوضعي يطرح جون بياجي تصوراً سيكولوجياً بنوياً يربط التمثيلات بالنشاط الرمزي ويحصرها في البعد الفردي بوصفها تمثيلات فردية تبنى وتتطور ذاتياً في تفاعل مع المحيط الخارجي؛ يقدم لنا بياجي - ومن هنا تبرز أهمية إسهامه - تحليلاً يُرسِّخ خصوصية التمثيلات من منظور نفسي، فهو يُحدد أولاً الأشكال الرئيسية التي تتخذها أنماط الاستدلال (التصنيف، والتفسير، وغيرها) لربط مختلف أنشطة الواقع ببعضها البعض⁴.

ينتقد بياجي تركيز دوركايم على التمثيلات الاجتماعية التي تلغي كل دور لما يسميه بسيكولوجيا التمثيلات، "يصور دوركايم الأطفال على أنهم لا يعرفون مجتمعاً آخر غير مجتمع الكبار أو المجتمعات التي أنشأها الكبار (المدرسة)، ولذلك فهو يتجاهل تماماً وجود مجتمعات الأطفال العفوية والحقائق المتعلقة بالاحترام المتبادل"⁵، يهدف جزء كبير من ملاحظات بياجي إلى إظهار أن تمثيلات الأطفال مبنية على الصور الذهنية التي تتشكل داخل عالمهم الخاص المتعارض مع مجتمع الآباء، وهي سمة مميزة لأصغر الأطفال الخاضعين لتأديب الوالدين في مجتمع يهيمن عليه كبار السن، ومع غوهم يتلاشى التمرکز حول الذات، ويبدأ الذهن في فهم واستيعاب القواعد والمعايير الاجتماعية ووجهات نظر الآخرين بشكل أفضل، ونرى ظهور الاحترام المتبادل والتعاون الذي يوحدهم فكرياً وعملياً وهكذا يتغير الواقع، لأن القاعدة التي يعتبرها طفل في السابعة من عمره مقدسة وغير قابلة للانتهاك تبدو لطفل في الثانية عشرة من عمره صالحة بالتراضي⁶، تتحدد رؤية الطفل للعالم من خلال نموذج فكري يُترجم إلى عمليات ملموسة تُشكل وحدة متكاملة، والأمثلة في هذا الشأن متعددة منها على سبيل المثال التصورات المتعلقة بنشأة الكواكب ونزول المطر وغيرها من الظواهر الطبيعية.

التمثيلات عند بياجي تحيل على "اللغة، الرموز، المعارف وهي مظاهر مندمجة بعضها مع بعض في شكل واحد، هذا الارتباط هو ما يمثل جوهر الوظيفة الرمزية للتمثيل الذهني"⁷، هكذا يرتبط التمثيل في علم النفس المعرفي بالذهن، فالتمثيلات ماهي إلا صور ذهنية يشكلها العقل البشري في استقلالية عن تأثير الوسط والبيئة والجماعة، غير أن هذا التشكل الداخلي يحضر كاستدعاء للشيء الخارجي في غيابه كنوع من الاستدكار، لكنه استدكار موجه بعمليات ذهنية تجريدية مترابطة، مفهوم التمثيل يتحدد من خلال الاستدعاء الذهني لأشياء ومواضيع بالرغم من غيابها، كنوع من الإحالة على الموضوع على شكل صورة ذهنية، فليس هناك تمثيل في ذاته لأن كل تمثيل هو تمثيل لموضوع ما كيفما كان المعنى الذي يقصده.



في حقل علم النفس الاجتماعي، ستشكل مساهمة سيرج موسكوفيتشي العمل الأبرز والأهم نظرياً، عندما عاد موسكوفيتشي إلى دور كهانهم وقام بإعادة إحياء مفهوم التمثيل، لم يكن ذلك من منظور نقدي فحسب، بل كان مصحوباً أيضاً بمهدف بناء وتتبع مسار نظرية علمية، "بينما تُعدّ التمثيلات الجماعية، بالمعنى الكلاسيكي، أداة تفسيرية تشير إلى فئة عامة من الأفكار والمعتقدات (كالعلم والأسطورة والدين، إلخ)، فإنها بالنسبة لنا ظواهر مرتبطة بنمط معين من الفهم والتواصل، نمط يُنشئ الواقع والمنطق السليم وللتأكيد على هذا التمييز، أستخدم مصطلح اجتماعي بدلاً من مصطلح جماعي"⁸.

لقد ساهم مفهوم التمثيل الاجتماعي في تزويد علم النفس الاجتماعي بأدوات مكنته من تطوير الأداء المنهجي ومراكمة المعرفة وطرح الأسئلة الحقيقية حول الحياة الاجتماعية، فالتمثيلات الاجتماعية – بدل التمثيلات الجماعية كما في التعبير الدور كامي والتي ترسخ سلطة ما خارجية – في نظر سيرج موسكوفيتشي هي تلك "المعتقدات والنظريات الساذجة التي تخص ظواهر المجتمع والتي تتسم بكونها مشتركة بين أعضاء الجماعة"⁹، فموقع مفهوم التمثيل الاجتماعي المحجّن عند ملتقى سلسلة من المفاهيم السوسيولوجية والنفسية¹⁰، يستلزم ربطه بعمليات نابعة من ديناميات اجتماعية ونفسية، إلى جانب الأداء المعرفي وأداء الجهاز النفسي، ومن جهة أخرى، أداء النظام الاجتماعي والجماعات والتفاعلات، من حيث تأثيرها على نشأة التمثيلات وبنيتها وتطورها، وانخراطها في التأثير عليها، "إنها مكونات ذهنية تتشكل عبر أفعالنا وتُشكل هذه الأفعال، إنها تتكون عبر الممارسة ومن أجلها وبذلك فهي تمثيلات ذهنية اجتماعية"¹¹.

يجب دراسة التمثيلات الاجتماعية من خلال توضيح العناصر العاطفية والعقلية والاجتماعية ودمجها، إلى جانب الإدراك واللغة والتواصل، مع مراعاة العلاقات الاجتماعية التي تؤثر في هذه التمثيلات، والواقع المادي والاجتماعي والمثالي الذي تؤثر فيه، "إن التمثيلات الاجتماعية ظواهر مُعقدة دائماً ما تكون نشطة وفاعلة في الحياة الاجتماعية، ضمن ثرائها الظاهري تتحدد عناصر متنوعة، بعضها يُدرس أحياناً بشكل مُنفصل: عناصر معلوماتية، ومعرفية، وأيديولوجية، ومعيارية، ومعتقدات، وقيم، ومواقف، وآراء، وصور... لكن هذه العناصر دائماً مُتشابكة مع التواصل الاجتماعي، وبالمثل فإنها تتدخل في عمليات متنوعة مثل نشر المعرفة واستيعابها، والتنمية الفردية والجماعية، وتحديد الهويات الشخصية والاجتماعية، والتعبير عن الجماعات، والتحول الاجتماعي"¹².

يحيل مفهوم التمثيل الاجتماعي عموماً على تلك الأفكار والمعتقدات والتصورات التي ترسخ في ذهن الفرد، والتي إستبطنها من خلال تفاعله المتواصل مع الجماعة التي ينتمي إليها، وفي إطار بناء مداركه الشخصية بناء على تجاربه وتعلماته، والتي تتطور مع درجات انخراطه في البيئة المحيطة به في أبعادها ومكوناتها المتنوعة والمختلفة.

2- إشكالية الدراسة

كثيرة هي الدراسات التي تطرقت للمشكلات التي تعاني منها المدرسة المغربية والتي تلقي بظلالها على جودة العملية التعليمية التعلمية، لقد اتجهت أغلب الدراسات إلى مقارنة هذه المشكلات من زوايا متعددة قاسمها المشترك استجلاء آراء وتصورات الباحثين والمتخصصين في الشأن التربوي، وكذا المهتمين من أصحاب الميدان من مدراء وأساتذة ومفتشين، وهي مقاربات ذات طبيعة فوقية تنظر للقضايا التعليمية من خلال إطار ماكروسوسيولوجي باعتبارها قضايا سوسيوتربوية أو سوسيوسياسية، وتغفل بذلك عن عنصر مهم يشكل لبنة أساسية لفهم محددات وتحديات المشكلات التربوية نقصد بذلك المتعلم، والواقع أن هذا الاستبعاد حتى لا نقول التهميش مرده إلى اعتقاد سائد بقصور المتعلم ونقص مداركه الذهنية وعدم قدرته على فهم الصعوبات المدرسية المحيطة به، لكن المقاربة الميكروسوسيولوجية التي تنبناها في هذه الدراسة تبين مدى أهمية الأفكار ووجهات النظر التي يحملها المتعلم حول البيئة المدرسية ومشكلاتها المختلفة، ودورها في استيعاب أفضل وتعرف أنجع لواقع المدرسة اليوم وللتحديات المرتبطة بها على مختلف المستويات تدبيرياً وبيداغوجياً وديداكتيكياً.

بناء على ما سبق، يمكننا أن نطرح جملة أسئلة للبحث في المشكلات التي تلقي بظلالها على واقع المدرسة المغربية في الوقت الحالي منها:



- ما التمثلات والتصورات التي يحملها التلميذ(ة) عن المدرسة التي يرتادها يوميا تقريبا؟
- ما هي أهم المشكلات التي تحضر في التمثلات الاجتماعية للمتعلم (ة)؟
- ما الصعوبات التي يواجهها داخل بيئة المدرسة وداخل بيئة الفصل؟
- كيف يتكيف مع هذه الصعوبات وما الآليات التي يعتمد عليها لتجاوزها؟

3- منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة في الجانب المنهجي على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تمت مقارنة موضوع الدراسة انطلاقا من وصف مجموعة ظواهر سوسيو تربوية، باتت تفرض إيقاعها على الواقع المدرسي في الوقت الحالي، وتلقي بظلالها على الممارسة التدريسية والتربوية، ليس على صعيد المؤسسة التعليمية فقط، بل أيضا داخل الفصول الدراسية، مما ينعكس بدرجة سلبية على الاندماج المدرسي وعلى التحصيل الدراسي، وتروم هذه الدراسة من جهة أخرى تحليل هذه الظواهر واستجلاء منطلقاتها وتظاهراتها والآثار المترتبة عنها، واستدعاء الآليات والأدوات الكفيلة بحل المشكلات الناتجة عنها.

أما من حيث تقنيات البحث فقد اعتمدت الدراسة على تقنيتي الملاحظة المباشرة والاستمارة الموجة باقتراحات متعددة، لقد مكنت الملاحظة المنظمة والمباشرة من التعرف على الصعوبات، وكذا المشكلات التي تواجه المتعلمين داخل أسوار المؤسسة وفصولها الدراسية انطلاقا مما يعبرون عنه ويصرحون به، أو يظهر على أفعالهم ومواقفهم، وما ينكشف في إنجازاتهم وتحصيلهم، وفي هذا الإطار صيغت الاستمارة البحثية التي تضمنت أسئلة موجهة يحيل كل سؤال مجموعة إجابات مقترحة، وهي إجابات مستنبطة من المعاينة الميدانية التي سبق ذكرها مع ترك السؤال مفتوح لإجابات أخرى يمكن للمستجوب اقتراحها حسب تصوره الخاص، وقد وزعت هذه الاستمارات على عينة طبقية تتضمن 120 تلميذا وتلميذة موزعين بالتساوي حسب معايير المستوى والشعبة والجنس.

4- مجتمع الدراسة

يشمل مجتمع الدراسة تلاميذ الثانوية التأهيلية موسى بن نصير التابعة للمديرية الاقليمية العيون والاكاديمية الجهوية لجهة العيون الساقية الحمراء، المسجلين في السنة الدراسية 2025/2026 والبالغ عددهم 768 تلميذا وتلميذة موزعين حسب الأقسام والشعب كما يلي:

الجدول 1: توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب متغيرات الجنس والمستوى والشعبة

الشعب	الأقسام	الذكور	الاناث	المجموع
الشعبة العلمية	الجدع	121	128	249
	الاولى باك	87	95	182
	الثانية باك	66	82	148
الشعبة الادبية	الجدع	43	28	71
	الاولى باك	36	28	64



54	22	32	الثانية باك	
768	383	385		المجموع

5- عينة الدراسة

تضم عينة الدراسة ما مجموعه 120 بنسبة 15% من مجتمع الدراسة، وقد تم اختيارها بطريقة طبقية عشوائية، ويبين الجدول 2 توزيع أفرادها حسب الجنس والمستوى والشعبة.

الجدول 2: توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الجنس والسنة والشعبة

الشعب	الأقسام	الذكور	النسبة	الاناث	النسبة	المجموع	النسبة
الشعبة العلمية	الجدع	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
	الأولى باك	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
	الثانية باك	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
الشعبة الادبية	الجدع	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
	الأولى باك	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
	الثانية باك	10	8.3%	10	8.3%	20	16.6%
المجموع		60	50%	60	50%	120	100%

ثانيا: واقع المدرسة والتمدرس في تمثيلات التلميذ الاجتماعية

1- جاذبية المدرسة

ليست المدرسة وسطا لتلقي حزمة من المعارف أو لتمرير مجموعة من التعلّمات فقط، بل هي فضاء أوسع يشمل التعليم والتثقيف والتربية والابتكار، فيه يتعلّم التلميذ معارف ومهارات وقيما ويحقق ذاته من خلال أنشطة ابداعية وترفيهية تلامس عواطفه ووجدانه، فالحياة المدرسية تروم جعل التلميذ يعيش حياته التلاميذية في مختلف تجلياتها، "الحياة المدرسية تشير إلى الحياة التي يعيشها المتعلمون في جميع الأوقات والأماكن المدرسية (أوقات الدراسة والاستراحة والإطعام...، الفصول والساحة والملاعب الرياضية ومواقع الزيارات والخرجات التربوية...)"، قصد تربيتهم باعتماد جميع الأنشطة الدينية والتربوية والتكوينية المبرمجة، ولاسيما التي تراعي الجوانب المعرفية والوجدانية والحس حركية من شخصياتهم، مع ضمان المشاركة الفعلية والفعالة لكافة مكونات المجتمع المدني¹³.

تتحقق جاذبية المدرسة حين تصبح ذلك الفضاء الواسع الذي يعيش فيه المتعلمون حياتهم المدرسية في كل أبعادها الذهنية والنفسية والوجدانية والاجتماعية، لكن التمثيلات التي يحملها المتعلمون عن المدرسة لا تحمل في طياتها هذا البعد المتعلق بالجاذبية، بل تحضر المدرسة



كوسط منفرد لا يساعد على الاستقبال ولا على الاحتضان وبالتالي لا يساهم في الاندماج، ويشير الجدول أسفله لتمثيلات عينة من التلاميذ لقيمة المؤسسة التعليمية وجاذبيتها:

الجدول 3: مظاهر لا جاذبية المدرسة

مظاهر لا جاذبية المدرسة	عدد التكرارات	النسبة المئوية
هيمنة الأساليب التديرية الجزرية	120	26%
كثرة الأنشطة التدرسية والصفية وقلة أنشطة التفتح والابداع	110	24%
مظاهر تتعلق بالزمن المدرسي: كثرة الحصص والساعات الدراسية، طول المقرر، تعدد واختلاف المواد المدرسة...	107	23%
الاهمية الكبيرة للتقويمات الجزائية: الفروض، الامتحانات الشهادية...	77	17%
ضعف انفتاح المدرسة على محيطها الخارجي	32	7%
مظاهر أخرى	12	3%

أن تحليل معطيات الجدول السالف تبين مدى أهمية التمثيلات النفسية والاجتماعية التي يحملها المتعلمون عن مؤسستهم التي يدرسون فيها، فالمدرسة تحوّل في نظرهم إلى بيئة طاردة ومنفرة بدل أن تكون بيئة جذب واحتضان، الأمر الذي ينعكس على مستوى ارتفاع نسب الهدر المدرسي، وتبرز أهم العوامل المتحكمّة في تصورات المتعلم وتمثلاته السلبية عن المدرسة وضعف الانتماء الوجداني لها، في الأساليب الزجرية الطاغية على مجمل تدخلات الأطر المدبرة للبيئة المدرسية سواء الادارية أو التربوية، وإن كان هؤلاء محكومين بالقرارات والمذكرات المنظمة للعملية التعليمية، فإن التعاطي معها باعتماد مقاربات ضبّطية وعقابية في أغلب الاحيان بدل انتهاج أساليب ذات أبعاد تربوية، يخلق لدى المتعلم انطباعاً بأن المدرسة سجن تربوي كبير يقضي فيه وقتاً كثيراً في ظل علاقة محكومة بالخضوع والتبعية.

تحدد ملامح المدرسة الجاذبة في مجموعة من المواصفات يمكن أن نجملها فيما يلي:

- ذات أدوار تربوية اجتماعية وأخلاقية تساهم في تشكيل شخصية المتعلم وبلورة اتجاهاته الإيجابية نحو ذاته ونحو مجتمعه، وتدفعه للشعور بالارتياح والأمن النفسي وتحقق له تعلماً حقيقياً، باعتماد استراتيجيات التعلم النشط الذي يراعي قدراته ومواهبه واختلافه، ويشجع على تدفق الأفكار والابداع والمشاركة والتفاعل الصفّي؛
- ذات استقلالية ولا مركزية في الإدارة والتنظيم، بحيث تكون قادرة ذاتياً ومهنية على تدبير مواردها مما يؤدي إلى تحسين الاداء وتطويره، وفق خطة منظمة وفاعلة ومدرّسة تتناسب مع الامكانيات المتوفرة، وتتطلع لتلبية الحاجيات وتحقيق الأهداف المنشودة مع أعمال مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة، في إطار الحكامة الادارية، كما تتجلى الاستقلالية التربوية في إعطاء هامش من الحرية



في إعداد المناهج والبرامج، وتطوير طرائق التدريس بما يتلاءم مع محيطها السوسيواقتصادي والثقافي، ويجعلها في قلب الدينامية التنموية والانتاجية للمجتمع؛

- ذات تصميم معماري ومورفولوجي جذاب، يغري المتعلم ويحفزه للاندماج في المدرسة والانخراط في أنشطتها وفعاليتها، وتتوفر المدرسة الجاذبة على مرافق وتجهيزات ومنشآت متلائمة مع الاتجاهات المعاصرة في الفن المعماري من حيث الجودة والإتقان، مما يعزز من جاذبيتها ويمكن المتعلم من ممارسة أنشطته وهواياته في جو من المتعة والانشراح؛
- قادرة على توظيف الإمكانيات والأساليب التكنولوجية والالكترونية، ففي عصر الثورة الرقمية من الضروري أن تواكب المدرسة الحديثة التطورات التي يشهدها عالم اليوم، وأن تدمج في برامجها وأنشطتها ومقرراتها الأدوات والتقنيات المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال، وتقوم بإعداد خطط تدريبية لأطرها في هذا المجال، وتشجع المتعلمين على استخدامها في إنجازاتهم المدرسية مع التوظيف الأمثل والأنسب لها؛
- منفتحة على المجتمع والمحيط الخارجي ضمن علاقات إيجابية ومنتجة، تعطي للمدرسة الجاذبة إمكانيات متعددة ومتنوعة للترقي وتطوير الأداء وتحسين المردودية، إن إقامة جسور التواصل والشراكة مع المجتمع المحلي ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية خاصة المهمة بمجالات التربية والتعليم، عامل مهم في جعل المدرسة مضطعة بأدوارها ووظائفها التربوية والتنموية على الوجه المطلوب¹⁴.

2- التوجيه المدرسي نحو الشعب العلمية

لعل أول ما يسترعي الانتباه في معرض البحث في مجالات الاهتمام لدى المتعلمين بناء على تمثلاتهم القبلية الاجتماعية، نجد تلك الآراء التي تتمحور حول القيمة التربوية والمعنوية للشعب العلمية في مقابل الشعب الأدبية التي لا تحظى بنفس درجة الاهتمام، والواقع أن هذا الأمر لا يشمل المتعلمين فقط، بل يتعداه للأولياء والآباء الذين يتدخلون بشكل مباشر في توجيه ابنائهم لولوج المسالك العلمية في السلك الثانوي التأهيلي، فبناء التمثلات الاجتماعية لدى الفئات العمرية الصغيرة يحدث من خلال الانطباعات التي تتشكل في اللاوعي، ضمن سياقات التفاعل مع المحيط وخاصة العلاقات الوجدانية مع الآباء والفئات الكبرى، كذلك نجد العوامل المتدخلة في ذلك مرتبطة بالصور النمطية التي يسهم الآباء في صناعتها وتشكيلها، وهي صور تتأسس على خبراتهم ومعايشتهم للواقع الذي ينتمون إليه ويتفاعلون معه، ويوضح الجدول التالي العوامل المحددة لتفضيل المسالك العلمية عن غيرها من المسالك خاصة الأدبية.

الجدول 4: أسباب اختيار الشعب العلمية

أسباب اختيار الشعب العلمية	عدد التكرارات	النسبة المئوية
ولوج سوق الشغل	120	25%
قيمة معرفية واجتماعية	117	24%
بسبب ميول ذاتية	111	23%
تركز على الفهم أكثر من الحفظ	87	18%
اختيار الأغلبية	44	9%



يتضح من تحليل الجدول السابق أن العوامل المؤثرة على مجمل تمثيلات التلاميذ المرتبطة بالتوجيه الدراسي نحو الشعب العلمية، يتحكم فيها ما هو داخلي يتعلق بالتعلم نفسه، وخارجي يخص الآباء أو المحيط، لكن يبقى التأثير الخارجي أكثر حدة مما يفسر الدور المهم الذي تمارسه العوامل الخارجية في تشكيل التمثيلات الاجتماعية للمتعلمين تجاه المدرسة ومكوناتها.

تواجه الاندماج المدرسي صعوبات عديدة في ارتباط بالاختيارات الخاصة بالتوجيه الدراسي نحو المسالك العلمية، فإذا كان الأمر محكوما بالعوامل الخارجية، التي تفرض على المتعلم تفضيل شعبة على أخرى دون أن تكون لديه المقومات والمهارات الأساسية التي تساعد على تخطي الصعوبات المعرفية والمهاراتية، وتمكنه من سهولة الاندماج في العمليات التعليمية التعلمية، وتحقيق تحصيل دراسي أفضل، فإن الاختيارات التربوية العامة التي تدفع نحو تعميم المسالك العلمية بنحو الثلثين على حساب المسالك الأدبية، ستواجه تحديات كثيرة طالما أنها لا تستحضر في برامجها ومضامينها الأبعاد الذاتية للمتعلم المتمثلة في ميوله ورغباته.

هكذا ستلقي التمثيلات الاجتماعية بثقلها على سلاسة الاندماج المدرسي، وبدل أن تسهم بفعالية في تسهيل اندماج المتعلمين في الحياة المدرسية والفضاء المدرسي بصفة عامة، فإنها تطرح عوائق أخرى يترتب عنها شيوخ مظاهر النفور والإحباط الدراسي.

3- التعددية اللغوية في التدريس

شكلت لغة التدريس إحدى الدعائم الأساسية التي استند عليها التوجه الاصلاحي بالمغرب منذ طرح الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2030/2015، وذلك ضمن مقارنة متدرجة تنتقل من الازدواجية اللغوية (العربية ولغة أجنبية) إلى التعدد اللغوي (العربية ولغتين أجنبيتين أو أكثر)، وتنوع لغات التدريس، لاسيما باعتماد وتفعيل مبدأ التناوب اللغوي بالتدرج على أساس تدريس بعض المضامين والمجزوءات باللغة الفرنسية في التعليم الثانوي التأهيلي على المدى القريب، وفي التعليم الإعدادي على المدى المتوسط، وباللغة الإنجليزية في التعليم الثانوي التأهيلي على المدى المتوسط.¹⁵ وقد جاء القانون الإطار 51.17 لإضفاء صيغة الإلزام القانوني حيث أكد على أن "التناوب اللغوي مقارنة بيداغوجية وخيار تربوي متدرج يستثمر في التعليم المتعدد اللغات، بهدف تنويع لغات التدريس إلى جانب اللغتين الرسميتين للدولة، وذلك بتدريس بعض المواد، ولاسيما العلمية والتقنية منها، أو بعض المضامين أو المجزوءات في بعض المواد بلغة أو بلغات أجنبية".¹⁶

هذه الهندسة البيداغوجية القائمة على مبدأ التعدد اللغوي فرضت واقعا لغويا جديدا تحظى فيه اللغة الفرنسية بميمنة واضحة باعتبارها لغة التدريس الخاصة بالمواد العلمية، هذا المعطى نتج عنه إعادة برمجة للهيكلة البيداغوجية والديداكتيكية لمجموعة من المواد الأساسية (الرياضيات، الفيزياء، العلوم)، وتكييف المضامين والمحتويات لتلائم مستويات الإدراك والفهم لدى المتعلمين، بالأخذ بعين الاعتبار كفاياهم اللغوية ودرجات استيعابهم للمضامين المقدمة باللغة الفرنسية فهما واستخداما.

الجدول 5: مستويات استيعاب مضامين المواد العلمية المدرسة باللغة الفرنسية

مستويات استيعاب مضامين المواد العلمية المدرسة باللغة الفرنسية	التكرارات	النسبة المئوية
صعوبات الاستيعاب معقدة لا يمكن تجاوزها	102	34%
صعوبات كثيرة تحتاج مجهودات كبيرة لتجاوزها	99	33%
صعوبات الاستيعاب بسيطة يمكن تجاوزها	56	18%



لا صعوبات في الاستيعاب	45	15%
------------------------	----	-----

يتضح من الجدول أعلاه، التحديات التي طرحها ويطرحها التعدد اللغوي في التدريس باللغات الأجنبية خاصة اللغة الفرنسية منذ الانطلاق في اعتماد التناوب اللغوي بالمنظومة التربوية، خاصة في المسالك الدولية والمهنية بالسلك الثانوي، لقد عبر أغلب التلاميذ عن الصعوبات التي يواجهونها في اكتساب المعارف والمهارات أثناء عملية التحصيل الدراسي في المواد العلمية لوجود العائق اللغوي، فالمسألة هنا ترتبط بمدى قدرة المتعلم على التحكم في اللغة الأجنبية، ودرجة امتلاكه لأدواتها التعبيرية والتواصلية قبل استخدامها كوسيلة لتلقي المضامين المعرفية، ولإكتساب المهارات والكفايات المنهجية، فطالما أن "التعلم الثنائي اللغة يكون عندما تحضر لغتان بشكل رسمي وبنوي داخل المدرسة في الآن نفسه، من أجل تحقيق التواصل والتعلم على وجه الخصوص"¹⁷.

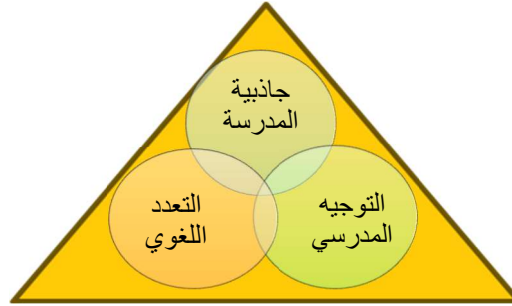
تشكل تمثيلات المتعلمين حول لغة التدريس باعتبارها أحد العوائق المعرقة لسيروية التعلم ولعمليات الاكتساب المعرفي والمنهجي، إن اعتماد لغة غير مطوعة يستطيع التلميذ التحكم فيها وفي أساليبها وأدواتها، يجعل التحصيل الدراسي والتمكن من التعلّيمات عملية صعبة ومعقدة، لأن التحدي في هذه الحالة يصبح موجهاً للغة المستعملة ذاتها بدل المعرفة المدرسة، مما يضيع الكثير من الجهد والوقت ويؤثر سلباً على الزمن المدرسي والايقاعات المرتبطة به، إن اعتماد لغة أجنبية مقابل التخلي عن اللغة الأم أبان عن مظاهر سلبية في المنظومة التربوية؛ "إن من أسباب تراجع التلاميذ في المواد العلمية تدريسها بلغة أجنبية، بسبب عدم تراكم ما يكفي من الكفايات من اللغة الأجنبية عند المتعلمين من جهة، ومن جهة أخرى ضعف الكفايات وقدرات الأطر التربوية في التدريس بلغة أجنبية، وضعف حلقات التكوين المستمر للمدرسين والمؤطرين من أجل إرساء آليات التناوب اللغوي في التدريس"¹⁸.

إن مراجعة مبدأ التعدد اللغوي وإخضاعه لمجهر الفحص وتشخيص عيوبه، يظل واجبا تربويا وضرورة ديداكتيكية لتصحيح وتعديل الخلل وحلحلة النواقص وجوانب القصور، وإيجاد الوضعيات الجديدة الكفيلة بمجعله قاطرة للرفع من جودة التعلم والارتقاء بالمنظومة التربوية.



خاتمة

مكنتنا الدراسة الميدانية هذه والتي قاربت موضوعا مهما يتعلق بالتمثيلات الاجتماعية التي يستبطنها المتعلمون والمتعلمات حول واقع المدرسة ووضعية الممارسة الفصلية في السلك الثانوي التأهيلي بالمغرب، من تعرف واكتشاف بعض من المشكلات والتحديات التي تؤثر سلبا على جودة الممارسة التربوية وتضع عوائق عدة أمام العملية التعليمية التعلمية، أمام تعدد وتنوع هذه المشكلات فإنه من الممكن حصرها في ثلاث زوايا رئيسية وهي: جاذبية المدرسة وقدرتها على الاستقطاب الإيجابي للتلاميذ وادماجهم في فضاءاتها المتنوعة، التوجيه المدرسي والمفاضلة بين الشعب واختيار التخصص العلمي، التعددية اللغوية مع فرض اللغة الأجنبية كلغة وحيدة لتدريس المواد العلمية. ويلخص المثلث التالي أقطاب الأبعاد الثلاثة.



مثلث الاندماج المدرسي

إن التغلب على الصعوبات والمشكلات المؤدية لوضعية اللاندماج المدرسي كما تتجلى في التمثيلات الاجتماعية للمتمدرسين، لن تتحقق دون معالجة المسببات التي أدت إليها، وذلك بانتهاج سياسة تربوية تجعل المدرسة وجاذبيتها الأساس والمنطلق وتعمل من التوجيه المدرسي آلية لتلبية رغبات المتعلم بناء على اختياراته الشخصية وليس اختيارات غيره ثم بإعادة النظر في مشكلة التعدد اللغوي وازدواجية المعايير تجاه اللغة الأم برد الاعتبار لها مع الانفتاح اللغوي من خلال الدعم والترجمة والتواصل وغيرها من آليات الاكتساب اللغوي.

الهوامش:

¹ -Durkheim, E. (1895), Les règles de la méthode sociologique, Paris, PUF (éd. 1963), p 18



- ² –Durkheim, E., Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, PUF (éd. 1968), p 609
- ³ – Halbwachs, M (1972)»Classes sociales et morphologie» éd Minuit, Paris, p 154
- ⁴ – Jodelet. D. (1997)»Représentations sociales; un domaine en expansion» dans Jodelet, Presses Universitaire. de France, Paris, p 89
- ⁵ – Piaget, J, (932),»Le jugement moral chez l'enfant», Paris, Alcan. p 41
- ⁶ –MOSCOVICI. S.»Des représentations collectives aux représentations sociales» dans Jodelet, Presses Universitaire. de France, Paris, 1997 p 90
- ⁷ –Piaget, J (1976): La formation du symbole chez l'enfant, Paris, Neuchâtel, Delachaux et Niestlé, p 296.
- ⁸ – Moscovici, S. (1984). The Phenomenon of social representations. In R.M. Farr et S. Moscovici (Eds.), Social Representations (p. 3–69). Cambridge, Londres, Melbourne, Paris: Cambridge University Press/éditions de la Maison des Sciences de l'Homme. P 19
- ⁹ – MOSCOVICI. S (1988).» Psychologie sociales». Paris, P.U.F. p 325.
- ¹⁰ – Moscovici S., (1976)» Psychologie des représentations sociales», Cahiers Vilfredo Pareto, p 39
- ¹¹ – MOSCOVICI. S (1961).» La psychanalyse, son image et son public» Paris, P.U.F. p 40.
- ¹² – Jodelet. D. (1997)» Représentations sociales ; un domaine en expansion» dans Jodelet, Presses Universitaire. de France, Paris, p 53.
- ¹³ – دليل الحياة المدرسية، وزارة التربية الوطنية، مديرية الحياة المدرسية، 2019، ص 9
- ¹⁴ – محمود أحمد فوزي بدوي»رؤية استشرافية للمدرسة الجاذبة من وجهة نظر الطالب والمعلم والخبير التربوي»، مجلة كلية التربية المنصورة، 2016، ص: 20-46، مستخرج من: https://www.academia.edu/attachments/97500702/download_file
- ¹⁵ – الرؤية الاستراتيجية 2030/2015، وزارة التربية الوطنية، الرافعة 13
- ¹⁶ – القانون الإطار 51.17، وزارة التربية الوطنية، المادة 2
- ¹⁷ Duverger, Jean, L'enseignement en classe bilingue Vanves, Hachette, FLE, 2009, p: 79
- ¹⁸ – أسماء البقالي العيساوي،»تحديات لتناوب اللغوي في تدريس المواد العلمية وأهمية التكنولوجيا التعليمية في تجتوزها"، علوم التربية والترجمة، الواقع والأفاق، كتاب جماعي، تنسيق: الصديق الصادقي العماري، ط1، 2024، منشورات مجلة كراسات تربوية، ص: 116